# بلاغة اللغة الإِشارية في تشكيل صورة المعنى في الخطاب القرآني

أ.م.د. عدنان عبدالسلام الأسعد * و أ.م.د. معن توفيق دحام*

تأريخ التقديم: ٢٠١٩/٥/٢٣ تأريخ القبول: ٢٠١٩/٦/٣٠

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح الفصحاء وإمام البلغاء سيدنا محمد الأمين وعلى اله وصحبه ومن والاه الى يوم الدين .

**أما بعد :**

فإن باب الاعجاز البياني يبقى محط نظر ودراسة الباحثين في رحاب كتاب العربية الأكبر القرآن الكريم للكشف عن أسراره وجمالية نظمه ، ومنها الرسالة الاشارية ونقصد بها إشارة النص وهي رسالة غير لفظية من باب ( معنى المعنى ) الذي تكتمل به دائرة الخطاب التواصلي من المرسل الى المتلقي ، وكل ذلك يثير الفكر والعقل لأدراك اسرار اللغة وبيان مقاصدها البلاغية ومنها ابراز جمالية المفردة بذاتها والتركيب في سياقه ، وهذا من بديع الاعجاز البلاغي البياني ولذا سميناها اللغة الاشارية، لآنها أوسع من المنطوق المقيد باللفظ وقد عقد السيوطي(ت ٩١١هـ) في كتابه معترك الأقران بابا سماه: من وجوه اعجاز الاستدلال بمنطوقه او مفهومه ولا يكون النظم الا بدراسة السياق باعتبار الحرف واللفظ والتركيب ، لذا جاءت دراسة الموضوع على وفق (ثلاثة) مباحث كان الأول بعنوان: (جمالية الإشارة بالحرف) وقد تضمن (أربعة) مطالب هي ( التقابل الحرفي ، والتضمين ، وصورة الصوت ، والاقتران التغايري ) .

أما المبحث الثاني : فكان بعنوان ( جمالية الإشارة باللفظ او بالكلمة ) وقد تضمن ( أربعة ) مطالب هي:( الاستعمال الضدي للمفردة ، والتقابل اللفظي ، والدلالة اللونية ، والإعجاز اللفظي).

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/جامعة الموصل .
* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/جامعة الموصل .

أما المبحث الثالث والأخير فجاء بعنوان (جمالية الإشارة بالتركيب ) ودرسنا فيه (أربعة) مطالب هي: (الاقتران الثنائي، والاستعمال التركيبي والالفاظ في سياق الاعتراض والذم ، والايحاءات الأخلاقية).

وكل ذلك يكشف عن بلاغة التشكيل الإشاري وأثره على المتلقي ويمكن أن نسميه بلاغة التصوير الاشاري الفني ، ثم خاتمة البحث ونتائجه .

توطئة :

- بين يدي العنوان

قبل البدء بالجانب التطبيقي والتحليلي لمباحث الدراسة لابد أن نقف عند مفاتيح العنوان ومفاهيمه وهي : (الإشارة) و(إشارة النص) و(الدلالة) ونحتاج من الدلالة مفاهيم الدلالة غير اللفظية سواء العقلية او الطبيعية او الوضعية.

تدل الإشارة في الاستعمال المعجمي على العرض لان "الشين والواو والراء أصلان مطردان ، الأول منها ابداء الشيء واظهارهُ وعرضه، والأخر اخذ شيء. فالأول قولهم : شرت [الدابة] شوراً ، إذا عرضتها، والمكان الذي يُعرض فيه الدواب هو المشوار...قال بعض اهل اللغة : من هذا الباب شاورتُ فلاناً في أمري قال : وهو مشتق من شور العسل ، فكان المستشير يأخذ الرأي من غيره[١]، ونجد مفهوم الإشارة يرتبط مع مفهوم الايجاز بكثرة معانيه وقله ألفاظه ، قال الكفوي : الإشارة عبارة على ان يشير المتكلم الى معان كثيرة بكلام قليل يشبه الإشارة بيده يشير دفعة واحدة الى أشياء لو عبر عنها لاحتاج الى الفاظ كثيرة ومن أمثلتها قوله تعالى : ( وغيضَ الماء) (هود/٤٤) فانه أشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع ماء المطر وبلع الأرض وذهاب ما كان حاصلا من الماء على وجهها من قبل[٢]، ثم بين المراد من إشارة النص التي كانت منهجية التحليل في بحثنا بقوله : واشارة النص ما عرف بنفس الكلام لكن بنوع تأمل وضرب تفكر ...والاستدلال بإشارة النص اثبات الكم بالنظم غير المسوق له كما ان الاستدلال بدلالة النص اثبات الحكم بالنظم المسوق له ..." [٣]، وهذا

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقق : د. عبدالسلام هارون ، دار الفكر بالقاهرة ١٩٧٩م : ٢٢٦/٣.

(٢) الكليات ، ايوب بن موسى الكفوي ، تحقق د. عدنان درويش ، محمد المصري ، دار احياء التراث بدمشق ١٩٧٥م/١٢٠.

(٣) المصدر نفسه /١٢٠-١٢١.

كلام دقيق ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ ﴾ (الإسراء: ٢٣) فهو على تحريم الضرب من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى وسمي ( فحوى الخطاب ) وما يعرف بإشارة النص فهو ما دل على حكم لغير مذكور بالوضع والاستعمال بالاستلزام والاستدلال [١]، والمنهج الذي تم اتباعه في الجانب التحليلي يعتمد على دلالة النص الذي يشكل المعنى اللفظي اما الإشارة فأنها من باب القرائن المعنوية ونلحظ ذلك مثلا في قوله تعالى : ( فلا تقل لهما افٍ) فالآية الكريمة ترسم لنا اشارة لطيفة في بر الوالدين اذ تبين اقل انواع الاذى بكلمة ( اف) وهو اسم فعل بمعنى ( اتضجر ) وفي اشارة النص بيان في انه لا يجوز ضربهما او شتمهما او اهانتهما ، ونجد مفهوماً اخر يعاضد فكرة البحث ومنهجه البياني في الاستدلال بإشارة النص اذ هو العمل بما ثبت بتركيب الكلام لغة من غير زيادة ولا نقصان لكنه غير مقصود أصالة ولا سيق له النص لكنه ظاهر من طريقة دون أخرى[٢]، وهذا كله وفق القرائن السياقية ودلالة المقام وحال الخطاب .

والدلالة كما هو معروف هي كون الشيء بحال يفهم منه شيء اخر ، وهي : عقيلة وطبيعية ووضعية ، وتقسم الى لفظية وغير لفظية .

وقد ورد لفظ (الاشارة) تصريحاً مرة واحدة في الخطاب القرآني في قوله تعالى:[ فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً] ، مريم ٢٩ [٣].

وهناك جهود للعلماء في تأسيس مفهوم الاشارة فالجاحظ (ت٢٥٥هـ) جعلها على أربعة أنواع وهي الاشارة والعقد والخط والنصبة[٤] ، ومن الاشارة اللطيفة كلام العينين وكلام

(١) ينظر المصقول في علم الاصول ، العلامة محمد جلي الكوبي ، تحقيق : عبد الرزاق بيمار ، سلسلة الكتب الحديثة – العراق ، ط/١ ، ١٩٨٢م/٢٨.

(٢) علم اصول الفقه للشيخ محمد بن ياسين ، دار الكتب جامعة الموصل ، ١٩٨٧ م/٥٧.

(٣) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث –القاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٦م/٤٨١.

(٤) ينظر : البيان والتبين : ١/ ٥٥–٥٦ ، وينظر العبارة والاشارة دراسة في نظرية الاتصال ، د. محمد العبد ، مكتبة الآداب –القاهرة ، ط/٢٠٠٧م . /٢.

الحوض والسحاب وحنين الرعد وهذا كله من الاتساع في لغة التواصل غير اللفظي ، ومن الشواهد قول الشاعر :

**قالت له الطير تقدم راشدا انك لا ترجع الا حامد**

وهناك تفصيل وبيان اكثر لهذه المسألة[١] .

ومبلغ الاشارة ابعد من مبلغ الصوت فاللغة جملة من الاشارات والناس لا يتفاهمون بالإشارة الا اذا عرفوا مفهوما وادركوا علاقتها ومناسبتها بالشيء المشار اليه ، والاشارات لا تدل على علاقات مادية فحسب بل تدل على علاقات ممزوجة بتصوراتنا ومشاعرنا وعلاقة الاشارة بالمشار اليه انما هي علاقة متصورة لا علاقة وجودي[٢] .

وخلاصة الكلام أنَّ الألفاظ إما أن تدل بمنطوقها ، او بفحواها ، او بمفهومها ، او باقتضائها وضرورتها او بمعقولة المستنبط منها وتسمى دلالة المنطوق أو يطلق عليها دلالة المفهوم ،أو تسمى دلالة الاقتضاء ، أو تعرف بدلالة الاشارة[٣].

المبحث الاول : جمالية الاشارة بالحرف

تنوعت الإشارة اللغوية في الخطاب القرآني باعتبار الاشارة الحرفية التضمينية لتشكيل الصورة البيانية ، وهذا من بديع جماليات المعنى ويمكننا دراسة ذلك تحت (أربعة) مطالب هي : (التقابل الحرفي ، والتضمين ، وصورة الصوت ، والاقتران التغايري ) .

المطلب الاول : التقابل الحرفي:

يمكن ان نجد مثلا ذلك بين قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (الصافات: ٩١)، وقوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ (الصافات: ٩٣)، ويلاحظ انه في الآيتين غاير في الاستعمال الحرفي ( الى ) و ( على ) وتوجيه ذلك ان الخطاب القرآني في الاول يحمل اشارة الى ان الفعل ( راغ) يدل على الذهاب خفية [ فراغ الى الهتهم] فهو ذهب اليها متخفيا ، ومن روغان الثعلب ، اما في الثانية عبر حرف الاستعلاء على فقال [ فراغ عليهم]

---

(١) ينظر : الخصائص لابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى – بيروت ١٩٣١م :٢٢/١-٢٤ .

(٢) ينظر : المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت – لبنان ، د.ت/٨٦.

(٣) ينظر: معتران الاقران لجلال الدين السيوطي ، ضبطه احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط/١، ١٩٨٨م:١٧٢/١.

أي فضربهم [ ضرباً] لان راغ عليهم بمعنى ضربهم ، او فراغ عليهم يضربهم ضربا ، فهو ضربهم مع تمكنه منهم فلم يبق منهم احد الا كبيرهم وهذا ما يقرره قوله ضربا[ باليمين]ضربا شديداً قويا ، لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما ، وقيل : بالقوة والمتانة ، وقيل : بسبب الحلف وهو قوله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٥٧) [(١)]، فالحرف (على) افاد التمكن والاستيلاء عليهم والاستعلاء منهم وجاء التعبير بالمصدر ( ضرباً) للدلالة على غاية القوة واثر السياق الآيتان بالمصدر ايضا للاشارة الى قوة همة سيدنا ابراهيم بحيث صار كله ضرباً ، والمستفاد من هذا التنوع الحرفي ان دلالة الفعل الاول بمعنى ذهب والفعل الثاني بمعنى ضرب مع ملازمة معنى الخفاء لكلا الفعلين ، ولكن قوة استعمال الفعل الثاني اكثر وضوحا على بيان الغاية من الاقبال على الالهة بدلالة حرف الاستعلاء ( على) ولذا جاء البيان موضحا بقوله (باليمين).

وقريب من هذه المقابلة الحرفية المقابلة بين ( الى او على ) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٨٤ ، ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ البقرة: ١٣٦

ومن التقابل الحرفي البديع في لغة التعبير القرآني التشكيل الاستعاري في خطاب الرسول – عليه الصلاة والسلام– فمرة نجد الاشارة الاستعارية في استعمال الحرف ( على ) ، ومرة الاستغراق والاحاطة في استعمال الحرف ( في) وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١ ) واستعمال العرف (على) في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم: ٤) ، . فالآية الاولى تبين أن الله تعالى وصف ما يرجع الى قوته النظرية بأنه عظيم ، فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٣) ووصف ما يرجع

(١) ينظر : الكشاف ، للزمخشري ، دار الفكر – بيروت – لبنان ، ٢٠٠٨م : ٤٧٣/٥.

الى قوته العلمية بأنه عظيم فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ فلم يبق للإنسان بعد هاتين القوتين شيء ، فدل مجموع هاتين الآيتين على ان روحه فيما بين الأرواح البشرية كانت عظيمة عالية الدرجة ، كأنها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة[١]، وهذا مفاد من الاشارية الحرفية ( لعلى ) فقد جعلت الاخلاق العظيمة مثل البساط دونه عليه الصلاة والسلام وقد علاها وارتفع عليها وهذا منتهى المدح والثناء من الله تعالى.

اما الاشارة الحرفية في الآية الاخرى فلم يقل: برسول الله ولكن قال ( في رسول الله )، وهذا من بلاغة التجريد ففي الكلام صنعة التجريد وهو أن ينتزع من ذي صفة اخر مثله فيها مبالغة في الاتصاف نحو لقيت منه أسداً .. وكقوله: في البيضة عشرون منا حديد أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد ، والآية وإن سيقت للاقتداء به عليه الصلاة والسلام في امر الحرب من الثبات ونحوه فهي عامة في كل افعاله صلى الله عليه وسلم[٢].

ومنه التقابل بين مدح المؤمنين وذم الكافرين نسمع الى قوله تعالى :﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ **(سبأ: ٢٤ ).** فنجد المفارقة الحرفية باستعمال حرف الاستعلاء (على) تبين تمكن المؤمنين من الهدى فقد اصبحت سجيتهم ومطيتهم وتصويراً كحال المؤمنين المهدتين بحال الفارس المتمكن المتصرف من فرسه اذ يركضه حيث يشاء فهو متمكن من شيء يبلغ به مقصده ، وهي حالة مماثلة كحال المؤمن المهتدي على بصيرة ، اذ يسترجع مناهج الحق في كل جانب ، متسع النظر منشرح الصدر، ففيه استعارة تمثيلية مكنية[٣] فضلا عن ذلك فيه اشارة الى الهدى يرفع صاحبه الى الاعلى ويسمو به عن ضلالات الدنيا . وهذا التعبير واضح في القران الكريم باستعمال (على هدى ) وله شواهد متنوعة [٤].

---

(١) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي دار الكتب العلمية – طهران ط/٢ ، (د.ت) : ٤٣٦/١٥.

(٢) روح المعاني ، لشهاب الدين الالوسي، تحقيق: محمد احمد الامد ، دار احياء التراث بيروت لبنان ط/١، ١٩٩٩م: ٦٨/١٦.

(٣) التحرير والتنوير : ١٩٣/٢٢.

(٤) ينظر : الآيات الاتية : سورة /الانعام ٩٠ ، الحج/٦٧ ، لقمان /٥.

اما الحرف في واقترانه مع كلمة (الضلال) [١] فيشعرنا بالتيه والبعد والانحراف عن المنهج القويم ، وللإشارة الى شدة تلبسهم بالضلالة على طريقة الاستعارة تمثيلا لحالهم في وقوعهم في وسط الضلال واحاطتهم به من كل جانب بحال المظروف في الظرف محيط به لا يفارقه ، والاشارة الخفية في ايثار الفعل ايضا في مقابل (على) مع الهدى ان الضلال يرمي بصاحبه في الدرك ويتيه به ولا يهتدي على خلاف الاول .

والمعنى ان يخبرهم : لكن على وجه الإنصاف في الحجة بعد ما سبق تقرير من هو على الهدى ، ومن هو على الضلالة فقال: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾، والمعنى : أن أحد الفريقين من الذين يوحدون الله الخالق الرزاق، ويخصونه بالعبادة ، والذين يعبدون الجمادات التي لا تقدر على خلق ، ولا رزق ، ولا نفع ، ولا ضر لعلى أحد الأمرين من الهدى ، والضلالة ، ومعلوم لكل عاقل ان من عبد الذي يخلق ، ويرزق ، وينفع ، ويضر هو : الذي على الهدى ، ومن عبد الذي لا يقدر على خلق ، ولا رزق ، ولا نفع ، ولا ضر ، هو : الذي على الضلالة فقد تضمن هذا الكلام بيان فريق الهدى ، وهم: المسلمون ، وفريق الضلالة ، وهم المشركون على وجه أبلغ من التصريح[٢].

ومن بديع التقابل الحرفي الوصية في الجانب الأسري مرة باستعمال الباء كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾ (العنكبوت: ٨) وهي وصية الأبناء للآباء، أما مع وصية الآباء للأبناء فقد ورد الحرف في كما في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ (النساء: ١١ ) ، ففي الآية الأولى استعمال ( الباء) مناسبة مع موضوعها وهو البر والاحسان الى الوالدين وفيها اشارة الى معنى الاحسان والرحمة والشفقة معها ليس بالنفقة او التواصي والسؤال عنها بل الحضور والجلوس معهما والتودد اليهما والتلطف معهما وهذه الاشارة البليغة متحققة من التنوع الحرفي البديع " واعلم ان الاحسان خلاف الاساءة والحسن خلاف القبيح ، فمن قرأ (إحسانا) فحجته قوله تعالى في سورة بني اسرائيل ( وبالوالدين إحساناً) [الاسراء : ٤٣ ] والمعنى أمرناه بأن يوصل اليهما إحساناً ،

(١) ينظر الى الآيات الاتية : ال عمران/١٦٤، الانعام /١٧٤الاعراف/ ٦٠ ، الرعد /١٤ ، ابراهيم /١٨ ، مريم /٣٨ ، الانبياء /٥٤ ، الحج /١٢ ، القصص /٨٥ ، الزمر /٢٢، غافر/٢٥ ، ق/٢٧.

(٢) فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، ١٩٨١م : ١٠٧/٦ .

وحجة القراءة الثانية قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (العنكبوت: ٨) ولم يختلفوا فيه ، والمراد ايضاً انا أمرناه بأن يوصل اليهما فعلا حسناً ، الا انه سمى ذلك الفعل الحسن بالحسن على سبيل المبالغة كما يقال : هذا الرجل علم وكرم" [١].

اما الآية الثانية فقد استعمل (في) مناسبه مع موضوعها وهو العدل وعدم الاعتداء في تقسيم الميراث بين الابناء حتى ولو في النظر اليهم وطريقة الكلام معهم ، والمعنى " أي يقول الله لكم قولا يوصلكم الى إيفاء حقوق أولادكم بعد موتكم ، وأصل الايصال هو الايصال يقال : وصى يصي اذا وصل ، وأوصى يوصي اذا أوصل ، فاذا قيل : أوصاني فمعناه أوصلني الى علم ما أحتاج الى علمه ، وكذلك وصى وهو على المبالغة [٢].

وأمثلة التقابل الحرفي كثيرة في أساسيات الخطاب القرآني نذكر منها على سبيل المثال ايضا التقابل بين (من) و (عن) في قوله تعالى ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ (المائدة: ٤١ ) [٣] ففي الاولى عبر ب(عن) وفي الثانية ب(من) وذلك ان الخطاب في الاولى جاء تصويرا لحال اليهود الأوائل الذين حرفوا التوراة اما الآية الثانية فهي تصوير لحال اليهود في زمن النبي(صلى الله وعليه وسلم) الذين حرفوا التوراة بعد ان وضعها الله مواضعها وعرفوها وعملوا بها زماناً ومنها عدم اتباعهم للنبي وهو موجود عندهم في التوراة بصفاته ، يضاف الى ذلك انه عبر ب(عن) في الاولى لان زمن التحريف وقتها ملاصق له ، اما في الثانية فقال(من بعد) لان التحريف الثاني تأخر عن الاول بأزمنة كثيرة[٤].

المبحث الثاني : التضمين

نود ان نبين قبل الدراسة والتحليل ان مسالة التضمين هي اعطاء الشيء معنى الشيء وهو اما بالحرف أو بالفعل او الاسم والاعجاز البلاغي في القرآن يكون واضحاً بأسلوب التناوب

(١) التفسير الكبير ٥١/١.

(٢) التفسير الكبير ٧٨/٥.

(٣) ينظر : (الرعد/٢ ، لقمان/٢٩ ، الانسان/٦٩) ، ( الانعام/٥ ، الشعراء).

(٤) درة التنزيل الاسكافي : ٩١ والتعبير القرآني د.فاضل السامرائي : ١٨٤-١٨٥ .

بين الاستعمال القرآني وبين التقدير الحرفي، ومنه قوله تعالى:[عيناً يشربُ بها عبادُ الله يفجرونها تفجيراً] سورة الانسان ٦.

فمن بلاغة الآية الكريمة تضمن الفعل شرب معنى يرتوي لتعدينه بالباء دون التي عادته التعدي بها اذ ان الشرب يكون من العين لا بها ولكن هنا ضمن الباء معنى (من)، وهذا يناسب الاستعمال للحرف (الباء) لان المعنى يشرب منها ويرتوي بها والاشارة الحرفية تكشف عن دلالة الاكرام والنعيم لعباد الله تعالى المؤمنين وقد سبق الآية قوله تعالى ﴿ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ ﴾ (الإنسان: ٥)وقال ههنا : [يشرب بها] فذكر هناك من وههنا الباء، والفرق أن الكأس مبدأ شربهم واول غايته ، واما العين فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر ، كما تقول : شربت الماء بالعسل[١]، فالإشارة الحرفية تدل على معنى الإلصاق وليست للتعدية وهي متعلقة معنى بمحذوف أي يشرب الخمر ممزوجة بها أي بالعين عباد الله وهو كما تقول : شربت الماء بالعسل[٢]، وهو على معنى التضمين أي الارتواء والتلذذ[٣]. فالباء ضمنت معنى ( من ) أي يشربوه ولكنه أثر التعبير ب (من) للإشارة الى انهم نازلون بالعين يشربون منها من قولنا (نزلت بالمكان) فهو يدل على القرب والالتصاق والشرب ، فالتمتع حاصل بإيثار الحرف (الباء)بلذتي النظر والشرب واللمس ، فصار كقوله مكانا يشرب به بخلاف (من) [٤]. وقريب من هذه الآية قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الصافات: ١٣٧ .

ومنه قوله تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ طه: ٧١.

والتصليب يكون على الشيء المصلوب ولكن الاشارة القرآنية تدعونا الى التأمل والبحث اذ قال (في) وهذا من جماليات التصوير الاستعاري لشدة وبطش فرعون وجبروته والمعنى

(١) التفسير الكبير: ٢١٩/١٦ ينظر التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره ١٩٨٩م /١٩١ .

(٢) روح المعاني : ٥/٢٢ .

(٣) ينظر معترك الاقران ١٩٨/١١.

(٤) البرهان ٣٣٨/٣-٣٣٩.

:"شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه ، فلذلك قيل ( في جذوع النخل ) [١] لذا لم يقل (على).

ومن بلاغة نظم الآية الكريمة ايضا التنوع في الاقتران الحرفي فهناك فرق تعبيري دقيق بين (امن به) و ( امن له) فقوله : (ءأمنتم لهُ) أي لموسى كما هو الظاهر ، والايمان في الاصل متعد بنفسه ثم شاع تعديه بالباء لما فيه من التصديق حتى صار حقيقة ، وإنما عدى هنا باللام لتضمينه معنى الانقياد [٢].

ومن فصاحة الاستعمال القرآني قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ القمر: ٣٤، اذا نجد دقة الاستعمال البياني للمشهد القرآني فقال بسحر ولم يقل : في سحر والمعنى دلالة السرعة والنجاة لنبي الله لوط–عليه السلام– ومن امن معه .

والبعد التصويري هنا يعطي اشارة الى تحويل الليل الى مركب او مطية يمتطيها لوط–عليه السلام–فتحول الليل الى الة وكان سببا في النجاة، اما التقدير الحرفي (في) فمعناه الظرفية والاحاطة وتشعرنا بالبطئ وملازمة الوقت وليس هذا المقصود في التعبير القرآني لان المقصود بيان وقت الانجاء مع دلالة السرعة وقرب موعد هلاك قوم لوط عليه السلام فالآية "كلام مستأنف لبيان وقت الانجاء او لبيان كيفية الاستثناء لان آل لوط كان يمكن أن يكونوا فيهم ولا يصيبهم الحاصب كما في عاد كانت الريح تقلع الكافر ، ولا يصيب المؤمن منها مكروه او يجعل لهم مدفعا كما في قوم نوح فقال [نجيناهم بسحر] أي أمرناهم بالخروج من القرية في اخر الليل والسحر قبيل الصبح وقيل هو السدس الأخير من الليل[٣].

المبحث الثالث : صورة الصوت

من بديع الاستعمال الإشاري ظاهرة الانسجام بين الكلمة ودلالتها المقصودة ويمكن ان نسميه صوت الحرف او صورته وهو البعد التصويري للكلمة القرآنية الذي يترك أثر الحدث على المتلقي ويكون هذا الاول بالتكرار الحرفي في الكلمة الواحدة واختيار فريد للكلمة

(١) الكشاف : ٥٤٦/٢.

(٢) روح المعاني : ٢١٨/١٢.

(٣) التفسير الكبير ١٥/١٥.

لتستعمل في سياقها مؤدية المعنى المطلوب على اتم وجه دون غيرها من الكلمات، ومنها تكرار حرف الطاء في قوله : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٣ ﴾ (الشعراء: ١٧٣) فموطن الشاهد تكرار صوت الطاء ، وهو صوت مستعلي منفتح وهو صوت شديد ايضا كل هذا يُشعر السامع بالحدث ويجعله يتصور شدة العذاب والسخط وغضب الله تعالى عليهم ، كيف لا فقوله تعالى (وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ ) كان مطرا غير معهود فهو حجارة من سجيل كما صرح به تعالى في قوله قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ ﴾ (هود: ٨٢ ) ، ومن نظم السياق وبلاغته حسن فاصلة الآية الكريمة في قوله (فساء مطر المنذرين) فهو لم يرد بالمنذرين قوما بأعينهم ، أنما أراد الجنس ، والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم، والتقدير: فساء مطرهم المنذرين [١].

ومن هذا النوع أيضا تكرار الحرف في الكلمة الواحدة لتؤدي المعنى المطلوب خير اداء من ذلك ايثار الفعل (دمدم)دون غيره في سياق قصة ثمود عند هلاكهم واصفاً غضبه تعالى عليهم بعد انكارهم للبعث وتكذيبهم لنبي الله صالح –عليه السلام–وذبحهم للناقة بقوله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ ﴾ الشمس: ١٤ . ومعنى دمدم أطبق عليهم العذاب وقيل هي ترديد الشي المستكره، واصله دممّ بثلاث ميمات أبدلت الوسطى من جنس الفاء نحو كفكف ولملم [٢]، ويلاحظ ان الفعل (دمدم) يتكون من مقطعين متشابهين ، المقطع مكون من صوتين الأول (الدال) وهو صوت جهوري شديد والميم وهو صوت متوسط الشدة [٣].

وهذا التكرار جعلنا نستشعر قوة الهلاك فنحن نقراها ونستشعر هكذا دم دم وهذا له ايقاع صوتي عمق من عذابهم واشعر بهلاكهم وعبر عن المعنى المراد بهذا الصوت بوضوح اذ يدل على تكرار العذاب عليهم ، فالله سبحانه وتعالى دمّر عليهم ومسح بهم الارض ، وبذلك دلت الكلمة بهذه الاصوات على العذاب التام المهلك فهو كما ذكر البقاعي (٨٥٥هـ) "عذب

(١) ينظر : الكشاف : ١٢٦/٣.

(٢) عمدة الحافظ : ٢٤/٢.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩.

عذاباً تاماً مجلّلاً مغطياً مطبقا مستأصلاً شدخ به رؤوسهم وأسرع في الاجهاز وطحنهم طحناً مع الغضب الشديد[١]، وفي هذا انذار بعاقبة الذنب ومما يعمق هذا عود الضمير في ( فسواها ) للدمدمة وهي لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم .

ويمكن ان نقف عند اية قرآنية تجمع حرف القاف وتكرره عشر مرات قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المائدة: ، والقاف من حروف الاستعلاء ومن حروف الشدة ايضا والمشهد الذي تعرضه الآية القرآنية هو اول جناية على سطح الارض وهي قتل قابيل لآخية هابيل وقد ذكرهما القرآن الكريم في سياق اسلوب الامر بالتلاوة ، وهي من أنباء الحق والمعنى "تلاوة متلبسة بالحق والصحة ، أو اتله نبأ متلبساً بالصدق موافقاً لما في كتب الأولين ، او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد : لان المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويبغون عليه ، أو اتل عليهم وأنت محق صادق"[٢] ، ومن مطلع الآية نجد الفرق بين استعمال النبأ دون الخبر فالنبأ اشارة الى معنى عظيم الشأن وكذلك فيه اشارة الى معنى العلم بهذه الانباء ولا تصلح لفظ الخبر لهذه الاشارة اللغوية لان الخبر هو الكلام الموجه الى السامع ليفيده واقعة من الواقعات[٣].

وهناك شواهد قرآنية تبين جمالية التصوير القرآني من ذلك كلمة (كبكبوا) دون (كبوا) في قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ٩٤ ، أي التكرار الحرفي في بنية المفردة نفسها يعد من مراتب بلاغة القرآن الكريم ، ويأتي غالباً للتأكيد والتنبيه وإثارة السمع للتأثير عند المتلقي ، فهي مكونة من مقطعين متشابهين (كب)(كب)وهي بهذا لها من الواقع والتأثير وإثارة الانتباه ما لا يخطر ، ومن ذلك تكرار الكاف في قوله تعالى :﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ النمل: ٥٠ ، وقوله تعالى ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ آل عمران: ٥٤ ، ومنه لفظ الكيد كما في قوله : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا

(١) نظم الدرر : ٦٦٣/٨.

(٢) الكشاف : ٦٠٦/١.

(٣) ينظر ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقران الكريم د. طالب محمد الزوبعي ، منشورات جامعة فان يونس– بنغازي ، ط/١ ، ١٩٩٥م/١٨٤،١٨٢.

﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ الطارق: ١٥ – ١٦ ، ومنها التشديد في كلمة (غلقت) كما في قوله : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يوسف: ٢٣ ، ومنها التناسب الصوتي اللفظي بين كلمة (اقلت)تشعرنا بهذا الثقل و(ثقالا) التصريح اللفظي كما في قوله : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ٥٧[١].

المبحث الرابع : الاقتران التغايري

ومن الإعجاز الحرفي تنوع اقترانه مع اللفظ في السياق القرآني من ذلك كلمة (الارض) في التعبير القرآني فنلحظ الاقتران معها بتنوع الحروف في ثلاث تراكيب أي (في الارض) و (على الارض) و(الى الارض) ، والغالب في الاستعمال القرآني والاكثر هو (في الارض) [٢] كما في قوله : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٧ ، والناظرين على اغلب الآيات القرآنية اقترن الفعل (سيروا) مع الفعل (انظروا) والمعنى اننا نعيش في الارض لما يحيط بنا من الاغلفة والمعنى : (فسيروا في الارض) بأقدامكم وأفهامكم وتأملوا[٣]، الا ان جمالية اسلوب الامر بقوله (سيروا) تبقى مقصودا في النص القرآني وان كانت العبرة بالنظر والفهم "والمطلوب من هذا السير المأمور به هو : حصول المعرفة بذلك فان حصلت بدونه، فقد حصل المقصود ، وإن كان لمشاهدة الاثار زيادة غير حاصلة لمن لم يشاهدها"[٤].

ومن لطائف التعبير القرآني قوله : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ٥٦.

---

(١) للمزيد من الامثلة ينظر الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، د. عبد الحميد هنداوي ، الدار الثقافية للنشر–القاهرة ، ط/٣ ، ٢٠٠٤م/٦٣–٦٦.

(٢) ينظر المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم /٣٥–٤٠.

(٣) ينظر روح المعاني : ٢٢٨/٣.

(٤) فتح القدير : ٢٨/٢.

مع ان المعلوم ان الفساد لا يقع الا في الارض، قيل: في ذكرها تنبيه على ان المحل الذي فيه شأنكم وتصرفكم ومنه مادة حياتكم جدير الا يفسد فيها فهي محل الاصلاح لا ينبغي ان يجعل محل الافساد[١]، وهو تعريض بليغ بسوء الفعل وسوء حال المخاطبين .

ومن التنوع الحرفي قوله (على الارض) كما في قوله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ الفرقان: ٦٣ ، ومن بديع التناسب في سياق الاية مطلعها بقوله ( عباد الرحمن ) بالأسلوب الخبري الابتدائي وهذا من باب الرفعة والتشريف والتكريم فنجد التناسب لهذا المعنى اقترن مع ذكر الحرف (على) وكذلك دلالة فعل المشي على الهدوء واللين في حركة المؤمنين قال الرازي: "وهذا وصف سيرتهم الطيبة بالنهار بأنهم هينين للينين وفي وضع المصدر (هونا) موضع الصفة مبالغة ، والمعنى ان مشيهم يكون في لين وسكينة ووقار وتواضع ، ولا يضربون بأقدامهم أشراً وبطراً ، ولا يتبخترون لأجل الخيلاء كما قال ( ولا تمش في الارض مرحا) [الاسراء : ٣٧]"[٢].

ومن التنوع قوله(الى الارض) كما في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (التوبة: ٣٨ )، والآية الكريمة نزلت في عتاب المتخلفين عن غزوة تبوك[٣]، لذا ناسب ذكر الحرف (الى) معنى التضمين أي: تباطأتم وتقاعستم ، وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى، والمعنى : ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ، ونحوه : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ ﴾ (الأعراف: ١٧٦ )، وقيل : ملتم الى الإقامة بأرضكم وديياركم[٤].

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ، تعليق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط/١، ١٩٨٨م : ٤٤٠/٢.

(٢) التفسير الكبير : ٤٤٨/١١.

(٣) ينظر اسباب النزول للواحدي ، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ، ط/١٩٥٩م/١٤١.

(٤) ينظر : الكشاف : ١٨٩/٢.

ومن جمالية التشكيل اقتران الحرف مع الفعل (آمن) فنجد (آمن له) ومرة (آمن به) اما استعمال (آمن به) فهو اشارة الى التصديق بالله تعالى مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (البقرة: ٨ )، وقوله :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الملك: ٢٩).

أمّا (امنا له) اشارة الى غير الله تعالى كما في قوله تعالى :﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ (طه: ٧١)، والشاهد [ءَامَنتُمْ لَهُۥ ] أي لموسى كما هو الظاهر ، والإيمان في الاصل متعد بنفسه ثم شاع تعديه بالباء لما فيه من التصديق حتى صار حقيقة ، وإنما عدى هنا باللام لتضمينه معنى الانقياد وهو يعدى بها يقال : انقاذ له لا الاتباع كما قيل : لأنه متعد بنفسه يقال : اتبعه ولا يقال : اتبع له ، وفي (البحر) إن آمن يوصل بالباء اذا كان متعلقة الله عز اسمه وباللام ان كان متعلقة غيره تعالى في الاكثر نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ التوبة: ٦١ ، (فما آمن لموسى)[يونس : ٨٣] الخ، (لَن نؤمِنَ لَكَ) [البقرة : ٥٥] (مَا أَنتَ بِمُؤمِن لّنَا) [يوسف : ١٧].."[(١)].

ومن الاعجاز البياني أيضاً بالاقتران التغايري في الفعل (أسلم) اذ ورد معه الحرف (في) قوله تعالى:﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النمل: ٤٤ ، ولم تقل لسليمان عليه السلام تحقق في سياق فن الالتفات ، فالإشارة الحرفية تكشف عن دقة الاستعمال الحرفي والمعنى انها اسلمت كما هو اسلم ولم تنقاد اليه او تسلم له امرها وهذا من صدق الايمان والمعنى : (وَأَسلَمْتُ مَعَ سليمان) متابعة له داخلة في دينه (للّهِ رَبّ العالمين) التفتت من الخطاب الى الغيبة قيل : لإظهار معرفتها بالله ، والأولى أنها التفتت لما في هذا الاسم الشريف من الدلالة على جميع الأسماء ، ولكونه علماً للذات"[(٢)].

---

(١) روح المعاني : ٢١٨/١٢.

(٢) فتح القدير : ٣٦٤/٥.

ومن جمالية التنوع تضاد المعاني فالفعل (رغب في) ضده في الاستعمال (رغب عن) فالإشارة الحرفية تميز الاستعماليين فالأول مال اليه واحب والثاني بمعنى تركه ، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ۖ ﴿١٢٧﴾ ﴾ النساء: ١٢٧ ، والشاهد قوله: (وترغبون ان تنكحوهن) فيكون باعتبار اصل الكلمة في الاستعمال المعجمي أي (رغب) بمعنى مال واحب والتقدير الاشاري بدلالة استعمال الحرف(الى) ، فـ" الراء والغين والباء أصلان: أحدهما طلب لشيء والاخر سعة في شيء. فالأول الرغبة في الشيء: الإرادة له: رغبت في الشيء ، فاذا لم ترده فلترغب عنه ،ويقال من الرغبة: رَغب يرغَبُ ورُغبا ورَغْبَةً ورَغْبَى مثل شكوى ..." [(١)]، ومن المعنى الثاني قوله : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ البقرة: ١٣٠ .

المبحث الثاني : جمالية الاشارة باللفظ

**يمكن ان نقف عند الآيات القرآنية التي يبرز منها البعد التصوري للمفردة منها :**

المطلب الاول : الاستعمال الضدي للمفردة

وهذه اشارة الى مخالفة المفردة استعمالها في الاصل المعجمي ، وهذا ما يعرف بالاستعارة التهكمية أو الضدية من ذلك الألفاظ ( البشرى والمأوى والمهاد وحبطت ومثوبة) كما سنبين في التحليل ، فقد ورد لفظ (البشرى) في قوله تعالى : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ النساء: ١٣٨ ، لإنَّ الأصل في استعمال البشرى ان تكون في الخير والكرامة والاعتزاز ولكن الاشارة اللغوية هنا وردت من باب التهكم بالمخاطبين بدلالة ذكر المنافقين وسوء المصير من باب الضدية للسخرية والتهكم ، ولا يمكن اعتبار المعنى انها في سياق الخير والوعد فلا بشرى للكافر والمنافق وذكر ابن عاشور ان هذا من الترغيب والترهيب ان اصل البشرى للخير والمسرة وتأتي ترهيبا لبيان وصف عقاب الكافرين[(٢)].

(١) مقاييس اللغة لابن فارس : ٤١٦/٢.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون بـ تونس ، ١٩٩٧م : ٢٤٦/١.

ومنها الاستعارة في لفظتي (المأوى) و (المهاد)في قوله تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١ ﴾ النساء: ١٢١ ، وقوله تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨ ﴾ الرعد: ١٨ ، والاشارة الاولى للفظ تبين أن المأوى دلالة الراحة والسكنى والاستقرار فهو اسم للمكان الذي يأوي اليه [١]، وكذلك المهاد الذي يمكن أن نعتبره رمزاً للحياة والأمل لأنه يمثل حياة الطفل فـ"المهد ما تهيئ للصبي ... والمهد والمهاد المكان الممهد الموطا..." [٢]، الا أن السياق يتكلم عن سوء المنقلب، وهي جهنم، ومن الاشارة القرآنية أن لفظ (مأواكم)و (مأواه) و(مأواهم) كلها اقترنت مع ذكر جهنم في صورة الاستعارة التهكمية[٣].

ومن الألفاظ الدالة على البعد التصويري لفظ (حبطت) وهي اشارة تصويرية للحدث كما في قوله تعالى : {أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين }آل عمران ٢٢، وهذا يرجعنا إلى اصل الاستعمال اللغوي فان "اصل الحبط هو أن تكثر الدابة اكلا حتى تنتفخ بطنها "[٤]، وهي اشارة الى الهلاك وسوء التصوير للموت وما بعده العذاب والنار.

ومن التصوير الاستعاري لفظ (مثوبة) كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠ ﴾ (المائدة: ٦٠ )، والداعي إلى السؤال هو أن " المثوبة مختصة بالإحسان ، فكيف جاءت في الإساءة؟ قلت : وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله: تحيّةً بينهم ضرب وجيع ... ومنه { **فَبَشرهم بعذاب أليم** } (آل عمران : ٢١)[٥]، وقد وردت لفظ (مثوبة) مرتين في القران الكريم مرة مع الخير ومرة مع الشر[٦]، وهذا من بلاغة الخطاب

(١) ينظر : المفردات : ٣٤ .
(٢) المصدر نفسه : ٤٧٦ .
(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ١٢٧.
(٤) المفردات : ١٥٠ .
(٥) الكشاف : ١ / ٦٢٥ .
(٦) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ١٩٨.

الاشاري التعريضي بسوء فعلهم وتهكما بهم و السياق يشير الى الوعيد بهم و "تبكيت لأولئك الفجرة أيضاً ببيان أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف ، وفيه نعي عليهم على سبيل التعريض بجناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها ... وخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شأن المبين، ويستدعي إقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة إلى المخبر به، والتنبئة المشعرة بكونه أمراً خطراً لما أن النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر .....، وفي ذلك تحقيق لشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها .... (مثوبة عند الله) أي جزاءً ثابتاً عنده تعالى، وهو مصدر ميمي بمعنى الثواب، ويقال في الخير والشر لأنه ما رجع إلى الإنسان من جزاء أعماله سمي به بتصور أن ما عمله يرجع إليه... واستعمالها هنا في الشر على طريقة التهكم"[1] والاستعارة الضدية.

ومن ذلك أيضاً لفظ (عزروه) في قوله تعالى : { فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾} (سورة الأعراف:١٥٧) ، فالاقتران اللفظي يزيل إشكالية المعنى وهي قوله تعالى : { وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ} وإلا لكانت كلمة { وَعَزَّرُوهُ} في غير مراد الخطاب فالسياق يبين معناها في مقام المدح والثناء والتعظيم.

المطلب الثاني : التقابل اللفظي :

من اسرار الاستعمال القرآني التقابل بين لفظتي النور والظلمات وغيرها من الألفاظ الاستعارية التي تشير إلى الإيمان والكفر كما في قوله تعالى:﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (المائدة: ١٦ )، دون استعمال لفظ الكفر والايمان ففي الكلمتين اشارة الى جمالية الصورة البيانية بالاستعارة التصريحية والمعنى اشارة الاهتداء مع الايمان والاشارة الى التيه والحيرة مع الظلمات " أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وذلك أن الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام، ويهتدي بالإيمان إلى طرق الجنة كما يهتدي

(١) روح المعاني : ٥ / ٤٠ – ٤١ .

بالنور،... وقوله تعالى : {وَيَهديهم إلى صراط مستقيم) وهو الدين الحق، لأن الحق واحد لذاته، ومتفق من جميع جهاته، وأما الباطل ففيه كثرة، وكلها معوجة[١] .

ومن ذلك أيضاً التصوير الاستعاري في لفظتي (الهدى) و (الضلال) وهما من الفاظ الطريق، لان اصل (هدى) التقدم للإرشاد فهديته الطريق أي تقدمته[٢]، ومن الشواهد قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ (البقرة: ٢ )، ومن بديع الإشارة أنه لم يقل : هدى للضالين مع أن أصل الهداية لهم من باب التفال بدعوة الضالين وان عاقبة الهدي خير ورحمة "كأنه قيل أي سبب في أن صار الموصوفون بهذه الصفات مختصين بالهدى؟ فأجيب بأن أولئك الموصفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً ...ومعنى الاستعلاء في قوله : (على هدى) بيان لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه حيث شبهت حالهم بحال من اعلى الشيء وركبه ونظيره «فلان على الحق ، أو على الباطل»"[٣]، يقابله في الاستعمال القرآني استعمال لفظ (الضلال) وهذا من بديع الاستعارة القرآنية لأنه لفظ من الفاظ الطريق في اصل الاستعمال اما (ضل) فـ"ضللت المسجد والدار اذا لم تهتد لهما وكذلك كل شيء مقيم لا يهدي له..."[٤] كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (إبراهيم: ٣).

ومن دقة الاستعمال اللفظي لفظ (الأعلى) في خطاب البشر مدحا مع موسى عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (طه: ٦٨)، يقابله نما لما قاله فرعون حكاية عن اسوء مقولة له كما قال تعالى : ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ ﴾ (النازعات: ٢٤ )، وهذا من جمالية الاشارة التقابلية اللفظية بين مدح الأولياء والأصفياء وذم الكافرين المنكرين، ومن الاستعمالات الدقيقة في رسم الصورة التعبيرية البحث عن اصل المفردة وبيان معناها في سياقها اشارة الى الحقول الدلالية فمثلا الغيث يستعمل للرحمة واما المطر فللعذاب والريح

(١) التفسير الكبير : ٦ / ١٧ .
(٢) ينظر: مقاييس اللغة: ٦/ ١٣.
(٣) الكشاف: ١ / ١٣٩ .
(٤) مقاييس اللغة : ٣ / ٢٧٩ .

للعذاب والرياح مبشرات بالخير والرحمة والفرق بين العام والسنة والفرق بين عيون واعين وغيرها من الألفاظ القرآنية .

المطلب الثالث : الدلالة اللونية

من روائع التعبير القرآني ذكر الألوان من ذلك استعمال (الابيض والاسود) في مشهد من مشاهد يوم القيامة فـ(الأبيض) اشارة الى النجاة والحياة الكريمة والسعادة الأبدية اما لون (الأسود) فاصبح اشارة إلى الهلاك، والذي ميز الحياة الكريمة من الذليلة الألوان فتأمل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (آل عمران:١٠٦)، لأن "البياض من النور، والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه ، وابيضت صحيفته وأشرقت ، وسعى النور بين يديه وبيمينه . ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده ، واسودت صحيفته وأظلمت ، وأحاطت به الظلمة من كل جانب"[1]، وقد تمثل في بلاغة اللف والنشر غير المرتب فيدا بذكر الذين ابيضت وجوهم ثم الذين اسودت وجوهم، ثم فصل بعدها بذكر سوء خاتمة الكافرين و عطف عليها حسن عاقبة المؤمنين .

ومن بديع الاستعمال القرآني ذكر لون (الأزرق) في عرض صورة المجرمين في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (طه: ١٠٢) ، وقد فصل الرازي في بيان معاني هذا اللون بقوله : "اختلفوا في المراد بالزرقة على وجوه: أحدها : قال الضحاك ومقاتل : يعني زرق العيون سود الوجوه وهي زرقة تتشوه بها خلقتهم والعرب تتشاءم بذلك ... وثانيها : المراد من الزرقة العمي، قال الكلبي : زرقاً أي عمياً، قال الزجاج : يخرجون بصراء في أول مرة ويعمون في المحشر، وسواد العين إذا ذهب تزرق...وثالثها : قال أبو مسلم : المراد بهذه الزرقة شخوص أبصارهم والأزرق شاخص لأنه لضعف بصره يكون محدقاً نحو الشيء يريد أن يتبينه وهذه حال الخائف المتوقع لما يكره وهو كقوله : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (إبراهيم: ٤٢)، ورابعها : زرقاً عطاشاً هكذا رواه

(١) الكشاف : ١ / ٤٣٥ .

ثعلب عن ابن الأعرابي قال: لأنهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حتى تزرق ويدل على هذا التفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾( مريم: ٨٦ )" [١] وكل هذه المعاني مستفادة من جمالية التفكير.

ومن الألوان الأخضر في صورة نعيم الجنة توصيفا لما يلبس اهلها كما في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الكهف: ٣١ )، وهي اشارة الى عظيم الأجر والكرامة والاحتفاء باهل الجنة وهو اشارة الى الراحة والسكون؛ "لأن الخضرة أحسن الألوان والنفس تبسط بها أكثر من غيرها ، وروي في أثر أنها تزيد في ضوء البصر، وقيل : ثلاثة مذهبة للحزن: الماء والخضرة والوجه الحسن . والظاهر أن لباسهم غير منحصر فيما ذكر إذ لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين"[٢].

ويطالعنا النظم القرآني باستعمال (جدد بيض وغرابيب سود) كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ (فاطر: ٢٧). ومطلع الآية بليغ في بيان قدرة الله تعالى وعجيب صنعه والمقصود من الخطاب اقرار مكانة العلماء ورفعة طلب العلم ورجع كل ذلك الى خشية الله تعالى لأن طريق الخشية هو معرفة صنع الله تعالى كما في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ ﴾ أي أجناسها وأصنافها على أن كلا منها ذو أصناف مختلفة ، أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما، ﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ والمعنى: ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون ، وهو تأكيد مضمر يفسره ما بعده فإن الغريب تأكيد للأسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد[٣] والمعنى شديد السواد وهو من بلاغة الايغال لتوكيد المعنى

---

(١) التفسير الكبير : ١٠ / ٤٦٧ .

(٢) روح المعاني: ١١ / ٢٤٥ .

(٣) ينظر: انوار التنزيل واسرار التأويل، لناصر الدين البيضاوي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،ط/١،١٩٨٨م: ٤٣.

مبالغة فيه لذا قال بعدها : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : إني لأخشاكم لله وأتقاكم له " ولذلك أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته، وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الأمر"(١).

وهناك إشارات ضمنية الى ذكر الالوان منها الصوف الملون كما ورد في مشهد من مشاهد يوم القيامة قال تعالى : ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ (القارعة: ٥ )، وكذلك وصف السماء بلون الأحمر قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الرحمن: ٣٧ )، فكل الألوان في التعبير القرآني ترسم لنا ابعادا تصويرية للأحداث وما يترتب عليها من الجزاء سواء بالثواب او العقاب، وهذا من بديع الاشارة اللونية في التناسب اللفظي والموضوع السياقي .

المطلب الرابع : الاعجاز البياني اللفظي

من أسرار الإعجاز القرآني أن نجد الإشارة اللغوية في سياق التركيب لمعنى المعنى ومن ذلك صور التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد: ٤ )، وموطن الشاهد قوله (يَسقي بماء واحد) اشارة الى التوحيد وكمل قدرة الله تعالى وهذا من بديع المفارقة في التعبير القرآني ان يذكر تنوع الأطعمة وتفاضل بعضها على بعض في الأكل وكلها بماء واحد تسقي لان "السبب المقتضي لاختلافها ليس إلا قدرة الصانع الحكيم جل سلطانه وتعالى شانه ، لأن تأثير الاختلاف فيما يخرج منها ويحصل من ثمراتها لا يكون في نظر العقلاء إلا لسببين : إما اختلاف المكان الذي هو المنبت، أو اختلاف الماء الذي تسقى به، فإذا كان المكان متجاوراً ، وقطع الأرض متلاصقة، والماء الذي تسقى به واحداً ، لم يبق مسبب للاختلاف في نظر العقل إلا تلك

(١) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

القدرة الباهرة والصنع العجيب ، ولهذا قال الله سبحانه: (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)"[١] بالأسلوب الخبري المؤكد بـ(ان).

ومن الاعجاز البياني قوله: (من بين فرث ودم) في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (النحل: ٦٦ )، ففيه اشارة الى القدرة والصنعة والايجاد، إذ نجد الاعجاز في خروج اللبن (خالصا) كما وصفه الله تعالى فلا من الدم يأخذ لونه ولا من الفرث الرائحة الكريهة ، وتلك اشارة الى صفاء اللبن وانه سائغ للشاربين لا يغص به أحد والمعنى: نسقيكم من بين فرث ودم، أي يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة، بل هو خالص من ذلك كله، قيل : إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً، والكبد مسلط على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها ، فتجري الدم في العروق ، واللبن في الضرع ، وتبقى الفرث في الكرش، فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتأمل"[٢] ، وهذا المعنى نستشعره من بلاغة قوله: (نسقيكم).

ومن الاعجاز في سياق البرهان والحياة والموت نجد لفظ (سعيا) دون (طيارا) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٠ )، والشاهد قوله (يأتينك سعيا) فهي تدل على عظيم الخلق ودقة تكوين الأعضاء في حياة الطير الأربع، وفيه اشارة الى شدة السرعة والاستجابة من هذه الطيور له إذ تصور سرعتهن طيرانا بكمال الحياة فيهن أن يأتين مشيا إليه ، وفيه اشارة الى انه ابلغ في الحجة والبيان والتصديق .

ومنه قوله **(صافات ويقبضن)** بجمالية الأسلوب الخبري بين الاستعمال الاسمي والفعلي في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

(١) فتح القدير: ٤ / ٨٦ .

(٢) الكشاف : ٢ / ٤١٦ .

﴾ (الملك: ١٩ )، فالاسم يدل على ثبوت صف الجناح عند الطير وهو اشارة الى الاصل اما التجدد فهو في القبض اشارة انه فرع او عارض على صف الجناح، والسؤال ان الطير اذا قبض جناحه فلماذا لا يسقط؟، وذلك "أن الأصل في الطيران صف الأجنحة والقبض طارئ فكان الصف بصيغة الاسمية للدلالة على الثبوت والقبض بصيغة الفعلية للدلالة على التجدد والحدوث"[١]، لذا قال بعدها بطريق التعبير الاشاري**(ما يمسكهن إلا الرحمن)** بأسلوب القصر.

ومن الاعجاز البلاغي الاستعمال الاشاري في اجتماع المتضادات وهي (الشجر والاخضر والنار) أي الخشب والماء والنار في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (يس: ٨٠ )، وهذا من بديع التناسب مع احداث الآية وواقع الحدث، فالآية وردت ردا واعجازا على السائل المنكر لإعادة الخلق والبعث بعد ان يكونوا عظاما ورميما فقد سبقها قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ (يس: ٧٨ )، فجاء التعبير الاشاري ردا عليه من طريقين الأول : العدول عن استعمال الاسم الكريم الصريح (الله) إلى ذكر المسند اليه المعرف باسم الموصول (الذي) في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ ﴾ (يس: ٧٩ )، وهو من باب تقريع المخاطب والانكار عليه فيما سال، والثاني: اجتماع المتضادات في سياق إشاري اعجازي وهي الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب وهذه إشارة الى التوحيد وكمال قدرة الله تعالى على احياء الموتى والبعث و"هذا رجوع منه سبحانه إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم، فنبه سبحانه على وحدانيته ، ودل على قدرته على إحياء الموات بما يشاهدونه من إخراج النار المحرقة من العود الندي الرطب[٢] .

ومن ذلك أيضاً التقديم والتأخير اللفظي لغير العامل فقد ورد لبيان الإعجاز في الخلق للاستدلال على وحدانية الله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى

(١) معاني الأبنية في العربية د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط١ /١٩٨١ : ١٢ .

(٢) فتح القدير: ١٨٢.

عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ ﴾( النور: ٤٥ )، والرازي دل بإشارة بليغة في السؤال الآتي : " لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب؟ والجواب : قد قدم ما هو (أعجب) وهو الماشي بغير آلة مشى من غير أرجل أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع ، واعلم أن قوله : (خلق الله ما يشاء) تنبيه على أن الحيوانات كما اختلفت بحسب كيفية المشي فكذا هي مختلفة بحسب أمور أخرى"[١] .

المبحث الثالث : جمالية الاشارة بالتركيب

المطلب الأول : الاقتران الثنائي

من ذلك قوله تعالى حكاية عن وصف ومدح سريرة يوسف عليه السلام– على لسان نسوة المدينة ﴿ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ (يوسف: ٣١ )، فالاقتران الثنائي (ملك كريم) كشف عن بديع التصويري لوصف سيرة يوسف عليه السلام وتزكية لسلوكه ورفعة، له وهو من باب بيان عفته –عليه السلام– لان لفظ (ملك) اشارة الى الطهارة والرفعة تشبها بالملائكة الاطهار، أما لفظ (كريم) فهي اشارة الى معنى الرفعة والمنزلة وفيه تعريض بفعل امرأة العزيز.

ومن اللغة الاشارية التوصيف والبيان لقوة جبريل عليه السلام كما في قوله تعالى : ﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾ (التكوير: ٢١ )، فهو "عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه، وقرئ «ثم» تعظيماً للأمانة . وبياناً لأنها أفضل صفاته المعدودة" [٢] وهي إشارة الى القوة الظاهرة فيه ثم الاشارة الى القوة المعنوية.

ومن الاقتران الثنائي لفظتا (القوي الأمين) وقد وردت ثناء ومدحا لنبي الله موسى عليه السلام– من احدى بنات شعيب عليه السلام كما قال تعالى حكاية عن ذلك: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القصص: ٢٦) ، فقد "وصفته بالقوة لما شاهدت من كيفية السقي وبالأمانة لما حكينا من غض بصره حال ذودهما الماشية

(١) التفسير الكبير : ٣٠٧.

(٢) الكشاف : ٤ / ٢٢٤.

وحال سقيه لهما وحال مشيه بين يديها إلى أبيها" [1]. في سياق التوكيد بـ (ان) وبيان صفة الخيرية فيه–عليه السلام– .

ومن الثناء القرآني على فتية اصحاب الكهف نجد الاشارة بدلالة الاقتران بين لفظي الفتية والايمان في قوله تعالى: {**إِنَّهُمْ فتية آمنوا بربهم..** } الكهف ١٣، اشارة الى اجتماع القوة الجسدية مع القوة الإيمانية وهذا من بديع التناسب اللفظي السياقي والمعنوي الاشاري.

ومن جمالية الاشارة الاقتران الثنائي بين اسماء الله الحسنى وهو موضوع يشغل مساحة كبيرة في القرآن الكريم ومنها الاقتران بين (الغني الحميد) كما في قوله تعالى:﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (الحج: ٦٤)، فليس كل غني يحمد او محمود الا الله تعالى فهو الغني الحميد، ومنه الاقتران بين (الكبير المتعال) كما في قوله تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (الرعد: ٩ )، فقد يكون الكبير المتعالي صفة ذم في حق المخلوق الا مع الله تعالى فهي صفة كمال وجلال في حق الله تعالى ، ومنه الآية القرآنية في سياق قطع يد السارق فقد ختمت بالاقتران الثنائي (عزيز حكيم) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (المائدة: ٣٨ ) ، فقد عز شرعه ودينه فحكم وقطع وأجرى مراد حكمته تعالى فيمن خالف منهجه واعتدي وتجاوز، فقد ذكر الامام السيوطي حكاية فقال : "حكي ان اعرابيا سمع قارئا يقرا ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٠٩) قرا غفور رحيم، ولم يكن يقرا القران فقال : أن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، فالحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لإنه اغراء عليه"[2]، وأصل فاصلة الآية قوله : ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

المطلب الثاني : الاستعمال التركيبي

(١) التفسير الكبير: ١٢ / ٧٥.

(٢) الاتقان في علوم القران، المكتبة الثقافية، بيروت–لبنان، ١٩٧٣م: ٢/ ١٠١.

هناك استعمالات في التعبير القرآني أصبحت اشارة الى الحدث المراد بيانه او في سياق تركيبي يلخص احداث او سيرة نبي كاملة من ذلك استعمال (فصكت وجهها) في قوله تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الذاريات ٢٩)، وهي اشارة الى استبعاد او استغراب ما سمعت انها ستلد وتنجب وقد كبر سنها فمعنى قوله تعالى : {**في صرة**} " أي صيحة ، كما جرت عادة النساء حيث يسمعن شيئاً من أحوالهن يصحن صيحة معتادة لهن عند الاستحياء أو التعجب، ويحتمل أن يقال تلك الصيحة كانت بقولها يا ويلتا، تدل عليه الآية التي في سورة هود، وصك الوجه أيضاً من عادتهن، واستبعدت ذلك لوصفين من اجتماعهما. أحدهما : كبر السن، والثاني : العقم ، لأنها كانت لا تلد في صغر سنها ، وعنفوان شبابها ، ثم عجزت و أيست فاستبعدت"[١] وهو من بلاغة الايجاز بالقصر .

ومنه الاستعمال القرآني (ثاني اثنين) في قوله تعالى :﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ... ﴾ (التوبة: ٤٠) ، اشارة الى قصة الهجرة النبوية وفضل الصحبة والتضحية في سبيل الله، قال الألوسي :"(ثاني اثنين) حال من ضميره عليه الصلاة والسلام. أي أحد اثنين من غير اعتبار كونه صلى الله عليه وسلم ثانياً ، فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقاً لا الثالث والرابع خاصة،... فلا حاجة إلى تكلف توجيه كونه عليه الصلاة والسلام ثانيهما كما فعله بعضهم"[٢].

ومنها أن آية قرآنية واحدة لخصت حياة نبي الله موسى –عليه السلام– من ولاته إلى بعثته، وهذا من بديع الاستعمال التركيبي الفريد في النظم القرآني كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (القصص: ٧) ،فقوله(أن أرضعيه)تركيب لغوي أشار إلى طفولته، وقوله إنت رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) تركيب لغوي إشارة وعد الله ونبوة موسى عليه السلام.

---

(١) التفسير الكبير:١٤ / ٢٩٧.

(٢) روح المعاني:٧ /٢٢٩ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (طه: ٤٠ )، اشارة الى اختصار ما مضى من الزمن في التسلط والخوف والمطاردة أي بعد أن خرج خائفا من مصر وهي اشارة الى اختصار أربعين سنة من عمره –عليه السلام – وكل ذلك لما هو اهم واحد وهو ارساله الى فرعون وقومه مبلغا وداعيا إلى التوحيد و عبادة الله تعالى .

ومنه الآيات القرآنية التي لخصت المواقف والمحن ومنها اننا نسمع قوله تعالى: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (ص:٤٤)، مع نبي الله ايوب عليه السلام اشارة بليغة الى اختصار الاحداث واسترجاعها في ذاكرة المتلقي.

ومن الاعجاز الايجاز القصصي في قصة يوسف عليه السلام– فيمكن أن نجمع القصة كلها في ثلاث آيات قرآنية جامعة لكل الأحداث، فالآية الأولى أحاطت بكل ما أحاط بيوسف –عليه السلام– وبيان لطف الله تعالى وقدره وعلمه كما قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (يوسف:٢١ )، اما الآية الثانية فقد وردت على لسان يعقوب عليه السلام بيان البلاء والمحنة بعد أن قص يوسف عليه السلام الرؤيا على ابيه كما في قوله تعالى حكاية عنه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ (يوسف: ٦ )، اما الآية الثالثة فقد وردت على لسان يوسف عليه السلام وقد اشارت الى ايجاز حياته كلها والعبرة من القصة تمثلت في كلمتين وهما الصبر والتقوى، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (يوسف: ٩٠).

ومن دقة الاستعمال البلاغي الاشارة الى اثبات بشرية عيسى عليه السلام وذلك بذكر لفظتي المهد والكهل وهي اشارة الى الولادة والزمان والمكان والتغيرات العارضة للانسان وتقلبات الايام وكل ذلك ينافي كونه الها واثبات بشريته –عليه السلام – في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ

بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِيۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (المائدة: ١١٠ )، اثباتا لبشريته ونبوته .

ومنه قوله تعالى ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (المائدة: ٧٥ )، فمن البديهي ان الانسان ياكل الطعام ليتقوى به، ولكن هنا إشارة بليغة إلى الحاجة والضعف والسعي في طلب الطعام والتقوي به، وتلك صفات المخلوق الضعيف بدليل ذكر الولادة والانجاب لانه قرنه بلفظ الأم بجمالية الكناية، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾ (النازعات: ٢٥ )، اشارة إلى مقال فرعون في ادعاء الربوبية والألوهية وهما قد وردتا في القرآن الكريم .

المطلب الثالث : الألفاظ في سياق الاعتراض والذم

من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ (الأعراف ٨٢)، لأن الطهارة ليس مما يعاب به المرء او يشينه لان الطهارة "صفة كمال ولكن القوم لما تمردوا على الفسوق كانوا يعدون الكمال منافرا لطباعهم فلا يطيقون معاشرة اهل الكمال ويذمون ما لهم من الكمالات فيسمونها ثقلا..." [(١)]، لكن الاشارة السياقية تبين انها في سياق الذم .

وتأمل قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الكهف: ٦٧ )، اذ كيف ينفي العبد الصالح الصبر عن نبي الله موسى عليه السلام؟، والجواب بعدها يبين ذلك وتزال الاشكالية بضابط عدم الصبر والاحاطة فيما سيرى في رحلته مع العبد الصالح (**وكيف تصبر...**)، والاعجاز هنا الاشارة بقوله (معي) أي حصرا في سفري وصحبتي لان "نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنهما مما لا يصلح ولا يستقيم و علل ذلك بانه

(١) التحرير والتنوير: ٨ / ٢٣٥ .

يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير..." [1]، وكذلك حسن التعليل في بيان أدب العبد الصالح مع نبي الله موسى عليه السلام كما قال تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الكهف: ٦٨ )، والشاهد (ما لم تحط) .

ومن الاعجاز الخطابي قوله حكاية عن قوم صالح عليه السلام ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ (هود: ٦٢ )، والاشارة تكشف عن "ما كان عليه قومه من الجهل والعناد في قولهم: **(قد كنت فينا مرجواً)** أي كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت..." [2]، وهي اشارة الى الجانب التعاملي المحمود في سلوك الأنبياء ولكن وردت في سياق يوهم الذم باعتبار سياق المتكلم ولكن الاشارة اللغوية تبين أنه لا يعاب الانسان في عمله الخيري الاصلاحي وما يرتجي منه .

ومن بديع الاشارة ما يطالعنا التركيب السياقي في معنى تغيير الحقائق وتضليل المفاهيم حكاية عن ملكا سبا في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (النمل: ٣٥) ،فقد ذكرت لفظ الهدية ولم تقل رشوة والمعنى "أي إني أجرب هذا الرجل بإرسال ارسلي إليه بهدية مشتملة على نفائس الأموال ، فإن كان ملكاً أرضيناه بذلك وكفينا أمره ، وإن كان نبياً لم يرضه ذلك ، لأن غاية مطلبه ومنتهى أربه هو الدعاء إلى الدين ، فلا ينجينا منه إلا إجابته ومتابعته والتدين بدينه وسلوك طريقته؛ ولهذا قالت : ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [3] تمثل في بلاغة الاستفهام .

ومنها الاشارة الضدية على تغاير القيم وتغير الحقائق حكاية عن مقولة فرعون لموسى عليه السلام كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (غافر: ٢٦ )، أي أن فرعون هو المصلح

---

(١) الكشاف : ٣ / ٧٧ .

(٢) تفسير القران العظيم، ابن كثير، تقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار احياء التراث، بيروت– لبنان، ١٩٩٩م:٢/٤٥٢.

(٣) فتح القدير : ٥ / ٣٥٨ .

واصبح نبي الله موسى عليه السلام هو المفسد، فقد اصبح فرعون حريصا على مصالحهم وحياتهم وهذا ظاهر التعبير السياقي وكل ذلك من اجل التضليل وتغير المفاهيم .

المطلب الرابع : الإيحاءات الأخلاقية

يمكن أن نعد ذلك من باب ادب الخطاب والاشارة القرآنية في الاعجاز التربوي من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النمل: ٢٢ )، والسؤال كيف خاطب الهدهد نبي الله سليمان عليه السلام بقوله: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ وظاهرة العدول في لغة التعبير القرآني تبين ذلك فلم يقل له : علمت، وانما احطت على اعتبار ما رأى هو واحاط به نظره وما ادركه وهذا لا يقدح في علم ومكانة نبي الله سليمان عليه السلام وهو اشارة الى أدب الخطاب وفن القاء الكلام وطريقة الحوار مع الاثارة والتنبيه فقد "ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ، ابتلاء له في علمه ، وتنبيهاً على أن في أدني خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به...، ويكون الطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة ، والإحاطة بالشيء علمها : أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم" [١].

وتأمل قوله تعالى في سياق الحدث مع سليمان عليه السلام- : ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (النمل: ٢٧ )، ولم يقل: كنت كاذبا أو كذبت والمعنى "سننظر من النظر الذي هو التأمل والتصفح ، وأراد : أصدقت ام كذبت ، إلا أن كنت من الكاذبين أبلغ ، لأنه إذا كان معروفاً بالانخراط في سلك الكاذبين كان كافياً لا محالة ، وإذا كان كاذباً انهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به" [٢] بجمالية التنوع بين الاسم والفعل .

ومنه قوله تعالى:﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٣) ، ولم يقل اصابني وهذا من أدب الخطاب مع الله تعالى وهو عنوان الرضى

(١) الكشاف : ٣ / ١٤٣ .

(٢) الكشاف: ٣ / ١٤٥ .

والقبول والتسليم ونلحظ المناجاة وطلب الرحمة "﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ أي وأنت أعظم رحمة من كل من يتصف بالرحمة في الجملة وإلا فلا راحم في الحقيقة سواه جل شانه وعلاه ، ولا يخفى ما في وصفه تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها مكتفياً بذلك عن عرض الطلب من استمطار سحائب الرحمة على ألطف وجهه"[1] لذا جاء بالأسلوب الخبري.

ومن أدب الخطاب في الدعوة إلى الله تعالى دقة انتقاء اسماء الله الحسنى كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ (مريم: ٤٥ )، فلم يقل: المنتقم او الجبار وانما ذكر الرحمن شفقة ورحمة بمن يدعوه إلى الله تعالى وفيه اشارة الى الإخلاص والصدق من الداعي لمن يدعوه، حتى اننا نلحظ تكرار النداء من إبراهيم عليه السلام في دعوة ابيه (يا أبت) في كل خطاب.

ومن لطائف الاشارة الأخلاقية آداب طلب العلم وصحبتهم مع أهل العلم والفضل يطالعنا النظم القرآني حكاية عن موسى عليه السلام بعد الاعتراض الثاني على قتل الغلام وتذكير العبد الصالح له بالعهد بينهما أن لا يساله عن شي جاء قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ (الكهف: ٧٦ )، ولم يقل: للعبد الصالح فلا اصاحبك انا وانما (فلا تصاحبني) أي انت ، سبحان الله أي ادب هذا؟ واي خطاب بليغ هذا .؟

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ (يوسف: ٩٨ )، إذ نجد حسن الخطاب من نبي الله يعقوب عليه السلام بعد طلب اخوة يوسف عليه الاستغفار من ابيهم فقال: سوف استغفر أي " قيل : أخر الاستغفار إلى وقت السحر . وقيل : إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة . وقيل : ليتعرف حالهم ، في صدق التوبة وإخلاصها، وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم" [2].

(١) روح المعاني: ١٢ / ٤٤٦ .

(٢) الكشاف : ٢ / ٣٤٣ .

ومن أدب الخطاب صيغة البناء للمجهول كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الجن ١٠)، فالخير كله لله تعالى "ولا يخفى ما في قولهم أشر أريد الخ من الأدب حيث لم يصرحوا بنسبة الشر إلى الله عز وجل كما صرحوا به في الخير وإن كان فاعل الكل هو الله تعالى ولقد جمعوا بين الأدب وحسن الاعتقاد" (١).

ومن جمالية الاشارة الأخلاقية في باب الدعوة الى الله تعالى وظاهرة العدول التركيبي في فاصلة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (البقرة: ٦٧ )، ولم يقل: من المستهزئين مناسبة لفظية لما سبق من قولهم واعتراضهم وهو اشارة بسوء اخلاق القوم وان الاستهزاء خلق سيئ" لأنه لا يليق بالعقلاء الافاضل فانه اخص من المزح لان في الهزؤ مزحا مع استخفاف واحتقار للممزوح معه على أن المزح لا يليق في المجامع العامة والخطابة على أنه لا يليق بمقام الرسول لذا تبرا منه موسى –عليه السلام– " (٢).

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الرحلة القرآنية مع المفردة والتركيب يمكن أن نسجل بعد هذه الرحلة البيانية في رحاب النصوص اهم المؤشرات والملاحظات ومنها :

- جمالية المفردة القرآنية ودقة الاداء اللغوي في التوصيف .
- البعد التصويري وفتح افق التأمل والنظر عند المتلقي واستحضار تتابع الحدث وهذا من بدائع الاعجاز الاشاري .
- التشكيل الحرفي للموضوعات واسترجاع الرسالة الموضوعية المقصود في الخطاب القرآني.
- التناسق والانسجام والتناسب وكل ذلك حسب مقتضى السياق مع تنوع الفنون البلاغية.
- ظاهرة حركية التتابع التصويري مع تنوع الاستعمال مثلا مع اسماء الله الحسنى او الاقتران الثنائي اللفظي او ذكر الالوان وغيرها من التراكيب اللغوية.

(١) روح المعاني: ٢١ / ٣٤٢ .

(٢) التحرير والتنوير: ١ / ٥٤٨ .

## *Sing language and its effect quranic speech*

***Asst.Prof. Dr.Adnan Abdul Salam Al-Asaad***
***Asst.Prof. Dr. Maan Tawfiq Dahham***

Abstract

This Research Depends on linguistic sing , which is a non-verbal message . This message returns to the text sign in which communicative speech series is completed from speaker into addressee.

This influenced mind and thought to realize the The secrets of language , its uses , appearing rhetorical sides of a word , and to appear the beauty of the word and Qnranic style through sign.

This is the rhetorical inimitability , so we called a sign language because it is more than speech restricted with formulation.